شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد

الشيخ علي سلطان الجلابنة

الفصل الثاني للعام ١٤٣٦

معهد العلوم الشرعية العالمي
تابع لملتقى طالبات العلم www.t-elm.net

السلام عليكم ورحمة الله

هل الصوت واضح بارك الله فيكم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه الكريم وعلى آله وصحبة والتابعين أما بعد،،،

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، ولا سهل إلا ما سهلته لنا إنك أنت الجواد الكريم، يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك **﴿وَالْعَصْرِ(١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر ١ :٣]** نظرًا لغياب كثير من الأخوات فإن سأختصر على باب واحد في هذه الليلة ولعل الله -عز وجل- أن يكتب الأجر لمن حضر، يجبر عمن غاب غيابهم.

جاء في الباب العشرون باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده

(المتن)

قال في الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- أن أم سلمة ذكرت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- (وهي هند بنت أبي أمية رضي الله تعالى عنها) **ذكرت لرسول الله كنيسة رأتها بأرض الحبشة** (فإن أم سلمة قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها أبي سلمة وذلك قبل أن تتزوج بنبي الله عليه الصلاة والسلام) **وما فيها من الصور؛ فقال : (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله)**

قال -رحمه الله-: فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

أجارنا الله وإياكم منها.

قال: ولهما عنها قالت: " لما نزل برسول الله -صلى الله عليه وسلم- طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال- وهو كذلك- : لعنة الله

على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره –صلى الله عليه وسلم–، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا" أخرجاه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا. ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا، لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك".

فقد قال –رحمه الله– فقد نهى عنه في أخر حياته.

ثم إنه لعن– وهو في السياق – (يعني سياق الموت) **من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يبنى مسجد. وهو معنى قولها "خشي أن يتخذ مسجدًا"**

هذا كلام مجدد الدعوة محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– ورضي عنه

قال: فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا. وكل موضع قصد الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع يصلي فيه يسمى مسجدًا. كما قال –صلى الله عليه وسلم–: "جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا".

هذا تعليق على الحديث وهو تعليق جميل نافع رحم الله الإمام ورضي عليه في هذا الكلام الطيب.

قال: ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود –رضي الله عنه– مرفوعًا: "إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد" وروه أبو حاتم "في صحيحه".

(الشرح)

هذا الباب أخواتي بارك الله فيكم نضعه أو وضعه الأمام عليه –رحمه الله– ليكمل به ما بدأه في الدروس السابقة، فلو قلنا ما علاقة عبادة الله –عز وجل– عند القبور بالتوحيد هو يتعبد الله –عز وجل– عند القبور، طيب ما العلاقة العبادة في هذا المكان بالتوحيد؟

نقول: هذا منقصه للتوحيد، لا هو لا يعبد القبر يا أختنا بارك الله فيك، هو يعبد الله –عز وجل– لكن أين في مكان فيه قبر، لا والله أنا انتظرت ربع ساعة وأنا جالس أمام الجهاز، قلت هي منقصه للتوحيد، وفاعلها هذه القضية يعد ناقص التوحيد لا يعد مشرك، فمن جعلها واسطة يا أخت اليمان هذا يعتبر أشرك شركًا اصغر ولعياذ بالله، طيب علاقة ما تكلمت أنفًا بالشرك هي شرك اصغر يعنى هي نوع من الشرك، الحاصل بارك الله فيكم في هذه الترجمة ينبه الأمام عليه رحمة الله في قضية وهي عبادة الله –عز وجل– وحده عند قبر رجل صالح أو عند قبور رجال صالحين هكذا، فهو يغلظ التغليظ قال باب ما جاء للتغليظ وهو للتحريم، والتغليظ يعني التحريم وهذا الذي قصده المؤلف –رحمه الله– وهو التحريم وهذا واضح، لو نظرنا في الحديث الأول ماذا قال النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال:" **أولئك شرار الخلق**" وفي الحديث الثاني قال: "**لعنه الله على اليهود والنصارى اتخذوا القبور مساجد**" وقال في الحديث الذي يليه قال:"**فإني أنهاكم عن ذلك**" كل هذا ذكره المصنف عليه رحمة الله حتى يبين غلظ هذه القضية وتحريمها سدًا لذريعة كما قالت الأخت أم ربيع، ستأتي بعد قليل، قالت التغليظ في من؟ يعنى التغليظ فيمن عبد الله تزلل وعبد الله وخضع بأي نوع من أنواع العبادة، سواء صلاة أو ذبح، أو ما شابه ذلك، فالآن لو سألت سائلة تقول، عبد الله لماذا لا يقول صلى ؟ نقول لأن العبادة أعم من الصلاة، إن الصلاة جنس من أجناس أو بعض من أفراد العبادة وإن كانت الأحاديث التي وردت معنا كلها في الصلاة لأنها أظهرها وهي أكثر ما يقع فيه الناس في الشرك ولعياذ بالله، ولكن تندرج صور كثيرة في هذه القضية، كالذبح والنذر وقراءة القرآن وهلم جرا.

قال: "فيمن عبد الله عند قبري"، سواء قبر أو قبور قبر رجل صالح والصور كثروا والناس فتنوا بهم كما قلت لكم في الدرس المنصرف إن من فتن بهم لما تعدوا الحدود والضوابط التي وضعها الله على لسان نبيه –صلى الله عليه وسلم–، ثم قال: فكيف إذا عبده وهنا المؤلف وضع هذا السؤال للاستنكار فكيف إذا عبدهم نسأل الله السلامة،

الآن هذه المسألة لو أردنا أن نتصورها بارك الله فيكم لأنها مسألة دقيقة ومهمة نقول: هذه المسألة هي عبادة الرجل لله -عز وجل- عبادة الرجل لربه -عز وجل- عند قبر رجل صالح لها صور، والعبادة تكون فيها كلها لله -عز وجل- فقد يتعبد الإنسان عند القبر أو عند القبور هذه الصورة الأولى وقد يتعبد الإنسان في مسجد، يعني نقول :

- قد يصلى الإنسان عند قبور
- أو قد يصلي في مسجد فيه قبر
- أو قد يصلي في مسجد مبني على قبر
- أو قبور والرابعة قد يصلي في مسجد حوله قبور

واضح هذه القضية أخواتي بارك الله فيكم، الصلاة عند قبر، الصلاة مسجد فيه قبر، الصلاة في مسجد مبني على قبر، الصلاة في مسجد حوله قبر. أو قبور قبور قبور أي سواء بالأفراد أو الجمع فإن المقبرة تطلق على قبر واحد أو ما فيها من مئات الآلاف من القبور كلها تسمى مقبرة.

- أما الصورة الأولى وهي الصلاة عند القبر أو المقبرة فهي لا تجوز ولا تصح صلاة، في أي جهة كان القبر، يعني إذا صليتي بجانبه الأيمن أو الأيسر أو من أمامه أو من خلفه والضابط في هذه المسألة أن يقال لك صليت عند قبر، يعني كيف نضبط هذه الصورة يقال فلان صلى عند قبر فلان، أي ليس بينهما ساتر، والأدلة كثيرة من أوضحها وأجلاها حديث أبي مرقد الغنوي عليه رحمة الله و-رضي الله عنه- في مسلم عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: «**لا تصلوا إلى القبور**»، وجاء في حديث أخر: « **الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**» فالظاهر من هذين الحديثين أن الأمر عام في كل صلاة، فلا يجب لنا أن نصلي أي صلاة إلى القبور لكن جاءت النصوص بتخصيص صلاة الجنازة لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في حديث الرجل الذي مات ولم يؤذن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يخبروه بوفاته هذه الصورة الأولى.

- الصورة الثانية المسجد الذي بني على قبر أو بني على قبور فهنا السابق القبور والتالي هو المسجد وهذه تختلف عن الذي بعدها فهنا نقول الصلاة في هذا المسجد لا تصح على الراجح من أقوال أهل العلم وهو أقوال المحققين في الفقه والعقائد لأنه مقبرة ويدل على هذا عموم الحديث الماضي في مكان كان في قبر ولم ينبش ولم يخرج ما فيه وإلا فإن مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم-، ماذا صنعوا الصحابة، جاءوا على القبور فنبشوها وأخرجوا ما كان فيها من بقايا الأموال ثم وضعوها في مكان أخر فلم يعد يسمى مقبرة واضح أختنا أم ربيع فنقول الأموات قد سبقوا ومن سبق أي شيء هو أحق به.

- الصورة الثالثة أن يصلي في مسجد فيه قبر، هنا المسجد هو السابق والقبر هو ماذا بارك الله فيكم طارئ، فهنا نقول ينبش هذا القبر، ويخرج والصلاة في هذا المسجد خلافيه عند الفقهاء بعضهم يرى جوازها مع الكراهة وبعضهم يرى تحريمها وعدم صحتها أو عدم صحتها للأحاديث التي معنا وكلا القولين لهما أدلتهما، بعضهم قال تصح الصلاة مع الإثم أو مع الكراهة، وبعضهم قال: الصلاة لا تصح أبدًا وما المانع من الدخول إليه يجوز الدخول إليه لكن هل للإنسان أن يصلي في مسجد فيه قبر؟ الراجح أنه لا يجوز، والذي يجب على طالب العلم أو طالبة العلم التشدد على هذه المسألة، لماذا ؟

- لأننا نقول لا فرق أن يكون قبر عن يمينك أو عن شمالك أو من أمامك أو من خلفك فأنت تصلين عند قبر، سواء كان القبر في المسجد أو كنت أنت والمسجد في مكان أخر كالصورة الأولى ولو سألت سائلة وقالت فلان، ما في بأس للزيارة يعني عندنا في الأردن قبور بعض الصحابة -رضي الله عنه-م، بنوا عليها مساجد تخيلوا، نحن نذهب بالطلبة للزيارة والترحم عليهم والتردي عليهم ونوضح للطلبة وننبه الأخوة على أنه لا يجوز الصلاة في هذا المسجد، طبعا وإن كانت بعض الحنفية وغيرهم طبعًا المسألة موجودة في كل الفقهاء لذلك لو قالت قائلة إنسان بنى مسجدًا وأوصى أن يدفن فيه فنقول: هذه الوصية لم يعمل بها، وإن قبر فينبش ويخرج ثم يدفن في مقابر المسلمين، لعموم قول النبي -صلى الله عليه وسلم- :" **كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد** ".

- الصورة الأخيرة أن يصلي في مكان فيه قبر أو قبور، فكما قال شيخنا أبن باز رحمة الله ورضي عنه، كلمة -رضي الله عنه- هذه يجوز أن نقولها لغير الصحابي لكن لا تكون علمًا إلا على الصحابة فلا نقولها على شكل مستمر ودائم فلو قلناها مره أو مرتين فلا ضير، أما الاستمرار عليها فيكون للصحابة، قال رحمة الله إن كونها حول المسجد لا يضر سواء كانت عن أمامه أو عن يمينه أو عن شماله لا يضر، قال بن باز -رحمه الله- قال المنهي عنه أن تكون في داخله أما في خارجه فلا يضر المسلمين إذا كان بينهم وبين القبور حاجز من جدار يحجزهم أو طريق أو نهر أو نحو ذلك مما يدل على بعدها وأنها غير موصولة بالمسجد الموجود، أما المقصود قال الشيخ -رحمه الله- :"أن وجودها قرب المسجد لا يضر المسجد ولا يضر المصلين" والله تعالى أعلم، نعم خارج سور المسجد يعنى سور المسجد الذي نصلي بداخلة وأحيانًا يكون داخل المسجد حديقة لا أجد فصل، هذا سور المسجد يعنى لا يوجد سور حول المسجد بل يوجد حوله ساحات، وقريب منها مقبرة، الشيخ -رحمه الله- قال: خلاص نكتفي بحاجز المسجد، والله تعالى أعلم.

قال في الصحيح عن عائشة ثم ذكر الحديث عن أم سلمة --رضي الله عنه-ا-، في الصحيح هنا يعني في صحيح البخاري ومسلم، الأفضل أن يقول هنا -رضي الله عنه- أن يقول في الصحيحين، رأت كنيسة يتعبد فيه النصَّارى ربهم، يزعمون طبعًا ما حكم دخولنا هذه الكنائس أو هذه المعابد؟ نقول لطالبة العلم أن تضبط هذه المسألة فنقول أما دخول الكنيسة فلا يخلوا من ثلاث أحوال أما تدخلينها للتعبد أو للصلاة معه أو تدخلونها للفرجة عليها وللمصلحة الدنيوية أو تدخلينها للدعوة، فالصورة الأولى لا يصح دخولها مطلقًا بل يحرم قال الله -عز وجل- لا تقم فيه أبدًا، قال عمر -رضي الله عنه- كما ورد عنه: لا تدخل على المشركين في معالمهم فالسخط تنزل عليهم، وأنها مأوى الشياطين، وقول عمر -رضي الله عنه- هذا يروى بإستاد صحيح ولكنه منقطع عليه، هذه الصورة الأولى.

الصورة الثانية أن ندخلها للفرجة، ففيها خلاف بعض يرى الجواز وبعضهم يرى التحريم وهو قوي الذي يرى التحريم لأنه يشمله حديث عمر خصوصًا أن كان الداخل إليها ممن يرمقه الناس كطالب علم أو ما شابه ذلك، وسدًا لذريعة التشبه بهم ومحبتهم فإن الإنسان إذا خالط قوم دخلت محبتهم في قلبه شيء فشيء

الصورة الثالثة يعنى يدخلها للدعوى جائز أن تدخليها للدعوى، بشرط إلا يكون هناك مفسدة، والمفسدة تقدر بقدرها، قال: مسجد يعنى موضع للعبادة ولو لم يصلى الناس فيه، (أخطأت) عفوًا.

لأ لا يصلي فيه يخرج يصلي خارجها، يعنى أدركته وقت الصلاة وقتها طويل إذا أدركته الصلاة يذهب، أنا قلت يا أخت عبير غفر الله لك، قلت الضابط إن لم يكن هناك مفسده.

قوله: (**مسجد**) يعنى موضع للعبادة ولو لم يسميه الناس مسجد، أي مكان يصلى فيه يسمى مسجد، فمسجد تطلق على مكان البناء وعلى مكان السجود، أولائك شرار الخلق يعنى أكثرهم شرًا قال: (**فهؤلاء جمعوا**) وهذا كلامه -رحمه الله- هو كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وليس من حديث، قال: (**فهؤلاء جمعوا بين فتنه القبور وفتنه التماثيل**) -رحمه الله-، فتنه القبور أي أنهم إذا بنو مسجد على القبر فإنه يؤدي في النهاية إلى عبادة صاحب القبر واضحة، التمثال أي أنهم صوروا تمثال لرجل صالح قصدهم الاقتضاء به ومحبته فإن هذا الشيء سيؤدي مع مرور الزمن إلى عبادته كما حصل مع قوم نوح، قال لهما عنها --رضي الله عنه-ا- لما نزل برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، (لهما) يعنى البخاري ومسلم، قالت: (لما نزل برسول الله -صلى الله عليه وسلم-) يعنى لما نزل به ملك الموت، لأجل قبض روحه وقلت لكم في الدرس المنصرم كيف يعرف ذلك بموته أو موت الميت، قال طفق واخذ يطرح قميصة يعنى يجعلها هذا القميصة أي الكساء يعنى الرداء وفيه خطوط معلمه يعني، قال: فإذا أغتم، أي أنحبس نفسه نتيجة وضعها على وجهه، ونتيجة سكرات الموت -صلى الله عليه وسلم- بأبي هو وأمي قالت:كشفا

ليتنفس -صلى الله عليه وسلم-، قال -صلى الله عليه وسلم- :(**لعن**) اللعن من الله والطرد،إبعاد عن الرحمة، واللعن من الناس السب والدعاء من الله أن يطرده ويبعده عن رحمته، واضح يا أخواتي بارك الله فيكم، اللعن من الله الطرد، ومن الناس السب والدعاء بأن يبعده الله -عز وجل- عن رحمته لو سألت سائله هل يجوز لعن اليهودي والنصارى بشكل عام، نقول نعم، لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اليهود والنصارى كما في الحديث فنحن نلعنهم، أما مسألة لعن العين ففيها كلام عند العلماء ليس هذا مكانها.

قال -صلى الله عليه وسلم-: (**اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) يعنى كنائس يعبدون الله -عز وجل- فيها، طبعًا القبور أو القبر يعنى العدد ليس مفهوم له، سواء عبد عند قبر رجل أو عند قبور رجال وما شابه ذلك وصور اتخاذ قبور الرجال مساجد صورتان انتبهوا لها:

- الأولى أن تبنى المساجد على القبور.
- الصورة الثانية أن يصلى عندها. يعنى الصلاة عندها من اتخاذها مساجد ولو لم تكن هناك بنايه (يحذر ما صنعوا) هذا من كلام عائشة --رضي الله عنه-ا-، ولولا لعنه اليهود والنصارى ولولا تحذيره -صلى الله عليه وسلم- من ذلك وخوفه اتخاذ قبره مسجدًا لأبرز قبره) يعنى لأخرج خارج حجرته وهذا أحد الأسباب في أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دفن في بيته.

هناك سبب ثاني، نقول السبب الأول أن يبنى عليه مسجد أو يتخذ من قبره موضع للسجود، يذهب الناس ويصلون عنده، السبب الثاني ما جاء في حديث: (ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض) ورد هذا الحديث أيضًا هذا سبب في دفنه في مكانه، قالت -- رضي الله عنه -: (**غير أنه خشي أن يتخذ مسجد**) يعنى لكن خاف الصحابة أن يتخذ الناس قبره مسجدًا فلذلك دفنوه في حجرته قال ولمسلم -رحمه الله- عن جند -رحمه الله- :(**سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل خمس**) يعنى قبل أن يموت بمخمس ليالي، (**قال أني أبراء**) وهذا استنكار للرسول -صلى الله عليه وسلم- لاتخاذ الخليل يعنى

الحبيب وهي مرتبه عالية للمحبة قال: (**فإن الله قد اتخذني خليلًا فلا محبة في قلبي لمحبه غيره**) يعنى من خليل الله؟ النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأيضا خليل النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الله تعالى ولو كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يريد أن يتخذ خليلًا لأخذ أبي بكر -رضي الله عنه- ورحمه فهو أفضل الناس بعد الأنبياء وبعد المرسلين وهو أول من أسلم من الرجال وهو خليفة النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو من هو، -رضي الله عنه- وجمعنا به في جنات الفردوس الأعلى، ثم قال: (**فقد نهى عنه في أخر حياته**) كما في حديث جندب وبعده من كلام الشيخ.

قال: (**ثم أنه لعن وهو في السياق**)- يعنى في سياق الموت يعنى في حضوره الموت لعن من؟ لعن من اتخذ قبور أنبيائه مساجد وهذه مسألة مهمة جدًا، ثم أن -صلى الله عليه وسلم- وهو في سياق الموت في أخر حياته لعن من اتخذ القبور مساجد والصلاة عندها، وإن لم يبنى مسجد فهذا بيان منه، يعنى المؤلف رحمة الله على هذه القضية، قال: ومعنى قولها (أن يتخذها مسجد) يعنى عن وقول عائشة -رضي الله عنه-، قال الصحابة لم يكونوا حتى يبنوا حول قبره مسجدا، يعنى الخوف ليس من الصحابة لماذا؟ لأنهم علموا تشديده -صلى الله عليه وسلم- وتغليظه في ذلك، لكن القضية فيمن يأتي بعد الصحابة، كما صنع بعد ذلك لأنهم أدخلوا قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- في المسجد وإن كان أحيط بسوار والمسألة تكلم فيها أهل العلم، قال وبأحمد بسند جيد عن بن مسعود -رضي الله عنه-، وهذا [٢٨:٢١] كما قال أهل العلم: (إن من شر الناس من تدركه الساعة وهم أحياء والذين يتخذون قبور الأنبياء مساجد) يعنى الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس وعلى من يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، طيب لو إنسان سأل كيف نجمع بين هذا الحديث وحديث ثوبان -رضي الله عنه- الذي فيه قال حتى يأتي أمر الله، في حديث الطائف بالمنصورة وهم قائمون كيف نجمع؟ نقول إن هذا الكلام على الطائفة المنصورة متعلق بوجودها فإذا ماتت وانقرضت ولم يبقى على الأرض أحد يقول : الله الله

أقام الله -عز وجل- الساعة وحشرهم في نهايتها وهم شرار الخلق كما بين صلى الله عليه سلم في هذا الحديث.

اسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا جميعًا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وألا يجعلنا وإياكم من شر الناس الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، أو يبنوا على القبور المساجد هذا والله -عز وجل- ونثبت العلم إليه اسلم وصلى الله وسلم على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه والتابعين يوم الأربعاء القادم ولا يوجد في هذا اليوم واجب لكم أترككم في حفظ الله.

١٤٢٩هـ
معهد العلوم الشرعية